نزار قباني

يوميات امرأة لا مبالية

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

ثُوري ! . أحبُّكِ أن تثُوري..
ثُوري على شرق السبايا . والتكايا .. والبخُورِ
ثُوري على التاريخ ، وانتصري على الوهم الكبيرِ
لا ترهبي أحداً . فإن الشمس مقبرةُ النسورِ
ثُوري على شرقٍ يراكِ وليمةً فوقَ السريرِ..

نزار

« يوميات امرأة لامبالية» هو كتابُكُنَّ[1]، هو كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل المعقّد بالإعدام ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها . ولأن هذا الشرق غبي وجاهل يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة ، ويستعير كُحْلها وأساورها ليكتب عنها . أليس من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية . ثم أليس من المفارقات المضحكة ، أن آتي إلى قاعة الوست هول لأشرح لكنّ أيتها المباليات مشاكل هذه اللامبالية النفسية والجسدية .. لماذا تصمتن أيتها النساء ؟؟ لماذا أكل القط ألسنتكن ؟؟ لماذا تنتظرن من يأخذ بثأركن ولا تأخذن ثأركن بأنفسكن ؟؟ نحن الرجال لا نعطي شيئاً . نأكل البيضة وقشرتها . ندّعي التحضر ونحن أكثر بدائية من ضباع

(١) الكلمة التي قدم بها الشاعر كتابه بدعوة من طالبات الجامعة الأمريكية في بيروت في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩.

سيبريا . ندرس في جامعات أوربا ونعود أكثر توحشاً من الماو ماو . نقدم الورد لعشيقاتنا وننشر رقبة شقيقاتنا بالمنشار . نحن الرجال ، نضع في فمنا السيجار ونتصرف بغريزة الجمل . نتمشى مع صديقاتنا في حديقة عامة وفي أعماقنا تصرخ الغابة . نتحدث عن الحرية وفي داخلنا تصطك أبواب الحريم وتخشخش مفاتيحه وأقفاله . نحن الرجال خلاصة الأنانية وشهوة التملك والإقطاع . نحن النفاق الذي يمشي على قدمين ، والوصولية التي تمشي على أربع . فلماذا تسكتن علينا أيتها النساء . لماذا ؟؟ أليس هناك واحدة منكن ، واحدة لوجه الله تستطيع أن ترد الصفعة صفعتين والكرباج كرباجين ؟؟ منذ كان الرجل وهو يتحكم بكنّ ، بأقداركن ، بأجسادكن ، بعواطفكن ، بدموعكن ، بلذتكن ، بفراشكن...منذ أن كان الرجل وهو يحتكر لنفسه كل شيء ، يحتكر المعرفة والحكمة والذكاء والدولة والسياسة والتشريع والحب والشهوة ، يحتكر حتى

غطاء السرير .. ومن هنا لابد العثور على امرأة من هذا الشرق ، تمتلك القدرة على الصراخ ، تمتلك الجراءة على التحدث عن نفسها وعن جسدها دون أن تلطخها عقدة الذنب وفؤوس العشيرة . كان لابد العثور على واحدة . امرأة واحدة . تنزع القفل الصديء الموضوع على فمها وترميه في وجه سجّانها . كان لابد من امرأة فدائية تقبل بمحض إرادتها أن تمدّ جسدها وسمعتها جسراً تمر عليه بنات جنسها إلى الضفة الأخرى من النهر ، إلى ضفة الحرية ..بحثت عنها طويلا هذه المرأة الشجاعة ، في المدن بحثت عنها ، في القرى بحثت عنها ، في الحقول بحثت عنها، في مدارس البنات ، في الجامعات ، في الجمعيات النسائية ، في حفلات عرض الأزياء حيث الحرية تتحرك على مدى عشرة سنتيمترات فوق الركبة ولا تتعداها إلى قلب لابسة الثوب وإنسانيتها . ما أضيق الحرية التي طولها عشرة سنتيمترات فقط ، ما أضيقها ؟؟ اكتشاف امرأة من

هذا الطراز . كان معجزة . وجه الأعجاز فيها أنها تتكلم و تكتب أيضاً. ليس من المنطق أن تمارس امرأة في شرقنا النطق والكتابة ، المسؤولون عن سجن النساء منعوا لسانها عن الحركة ، قطعوه وأكلوه ، أنسوها غريزة النطق ، وصادروا منها أدوات الكتابة . الكتابة التي أقصدها ليست كتابة الفروض المدرسية وإعداد الأبحاث والأطروحات الجامعية ، الجامعيات عندنا برغم كونهن يكتبن فأنهن لا يكتبن ، برغم كونهن ينطقن فإنهن لا ينطقن . برغم كون الخنجر مزروعاً في ظهورهن فإنهن لا يصرخن . أنا لا أومن بحرية تنفصل عن النطق والسلوك ، حرية المرأة هي أن تسقط في الماء بكامل ملابسها لا أن تتنزه في حديقة الجامعة وهي تتأبط الكراريس المدرسية . الحرية جواد أبيض لا يستطيع ركوبه إلا الشجعان ، قلعة لا تفتح أبوابها إلا للمقاتلين ، العبودية سهلة ، إنها جسد مشلول يتعاطى الحبوب المنومة ، أما الحرية فوجع أبدي لا يريح ولا

يستريح . في شتاء عام ١٩٥٨ عثرت على هذه المرأة الكنز ، أرتني جروحها ، أرتني مكان المسامير على نهديها، أرتني أثار الكرباج على ظهرها ، أرتني أوراقها ، حكت لي كل شيء ، تحدثت بلا نظام ولا ترتيب ، تحدثت بشفتيها وأهدابها ودموعها وأظافرها ، تحدثت بلين وشراسة ، بطفولة ووحشية ، بحقد وغفران ، بكفر وإيمان ، باحتقار وسخرية ، بهدوء وعصبية، بشجاعة وتحدٍّ .. تكلمت بطلاقة من قضى آلاف السنين ممنوعا عن الكلام ، تكلمت بحماسة طير وجد أمامه فرصة للهرب . كانت المرأة تأتيني كل مساء في شتاء عام ١٩٥٨ وكنت يومئذ ديبلوماسيا في الصين ، شتاء كامل وأنا أستقبل هذه المرأة دون أن يخطر ببالي مرة أن أسألها ما اسمها ؟ أين تسكن ؟ ماهي مدينتها ؟ كان حضورها أقوى من كل أسئلتي ، وكانت قضيتها أكبر من التفاصيل والعناوين والأسماء ، وذهبت هذه المرأة وأنا لا أعرف عنها سوى أنها كانت جميلة ورائعة وشجاعة . ذهبت

ولم تترك سوى بصماتها على جدران حجرتي ، وسوى حزمة أوراق ممدودة على طاولتي على شكل جرح ، ظلت هذه اليوميات نائمة في درج طاولتي عشر سنوات ، كانت وصية صاحبتها لي قبل أن تذهب أن لا أنشر يومياتها ، وبعد عشر سنوات قررت فجأة أن أخون صاحبة اليوميات وأنشر كلامها على الدنيا .. لماذا لا أخونها ؟؟ إن ما كتبته لا يخصها وحدها ، فهي عندما تتحدث عن حزنها فإنها تتحدث عن كل الحزن ، وعندما تتحدث عن جسدها فإنها تتحدث عن كل الأجساد ، وعندما تتحدث عن وجدها وحبها وكرهها وشهوتها فإنها تتحدث عن وجد وحب وكره وشهوة النساء جمعياً .. من هذه الزاوية أستطيع أن أبرر خيانتي لهذه المرأة، لأنني أعتبر هذه اليوميات مصدراً من مصادر النفع العام كالتماثيل والمتاحف والحدائق العامة يجب أن يراها كل إنسان . نعم ، لقد خنت متعمدا هذه المرأة عندما نشرتُ يومياتها ، وللمرة الأولى أحب خيانتي وأتلذذ بمذاقها .

((اليوميات)) عمل من أعمال السخط والتحدي ، سخط على التاريخ وتحدٍّ له في منتصف الشارع . ثم هي رفض لوضع تاريخي واجتماعي ووراثي مهين ومستمر في زوايا كثيرة من عالمنا العربي . قد لا ينطبق وضع اللامبالية مئة بالمئة على وضع المرأة البيروتية التي تسكن شارع الحمراء أو الدمشقية التي تقطن حي أبي رمانة أو القاهرية التي تسكن الزمالك ، فقضية المرأة الشرقية لا تنحصر بثلاث مدن وثلاثة شوارع . لقد اخترت نموذجي من قرانا وأحيائنا الشعبية وبوادينا حيث لا تزال المرأة تُقايض بالنوق والماعز ، وتوزن كأكياس الطحين ، وتقوم خلال حياتها بزيارتين .. بزيارتين لا ثالث لهما ، واحدة لبيت زوجها والثانية للقبر . من أجل ماذا كتبت ((اليوميات)) من أجل من ؟؟ من أجل الحرية . كتابي هو كتاب الحرية .. والحرية التي أطلبها للمرأة هي حرية الحب ، حرية أن تقول لرجل يروق لها : ((إنني أحبك)) دون أن تقوم

القيامة عليها ، ودون أن يُرمى رأسها في تنكة الزبالة . حرية أن تقول كل ما تقوله العصافير و الأرانب والحمائم في حالات وجدها العاطفي وعشقها والتحامها العاطفي . أطالب بنزع الأقفال عن شفتيها ، وإنهاء حالة النفاق الكبير الذي تعيش فيه . نعم ، النفاق الكبير ، فالمرأة الشرقية مستودع نفاق كبير فوجهها وجهان ، ونفسها نفسان ، وخارجها وداخلها متناقضان ، تقول شيئاً وتضمر غيره وتحب رجلاً وتتزوج سواه بسرعة النسانيس . إنها تحتال على الحب وتكذب وتغش ، لأن مجتمعنا علّمها أن تكون محتالة وكاذبة وغشاشة ، ومادام مجتمعنا ينظر إلى الحب نظرته إلى حشيشة الكيف ، ومادامت كتابة رسالة حب تكلف صاحبتها الوصول إلى حبل المشنقة فسوف تستمر الازدواجية واللصوصية والتهريب العاطفي ويظل الحب في بلادنا غلاما بلا نسب يطرق الأبواب ولا يجد من يفتح له . نحن مجتمع بلا عافية لأننا لا نعرف أن نحب ، لأننا نطارد

الحب بكل ما لدينا من فؤوس ومطارق وبوار يد عثمانية قديمة .. أما لماذا نشرت ((اليوميات)) في هذا الوقت بالذات ؟؟ لماذا اخترت هذا الجو المشبع برائحة البارود والرصاص لأفجر هذه الثورة الجنسية ؟؟ السبب هو أن ثورة يقوم بها الجيل العربي الجديد لا تأخذ بعين الاعتبار تحرير هذا الجيل من بعبع الجنس وأفاعيه وعقده الطاحنة ، تبقى ثورة في الفراغ ، ثورة خارج الأرض وخارج الإنسان . مادام جسد المرأة العربية مسيجاً بالرعب والعيب والخرافة ومادام فكر الرجل العربي يمضغ كالجمل غلافات المجلات العارية ويعتبر جسد المرأة منطقة من مناطق النفوذ والغزو والفتوحات المقدسة ، فلن يكتب النصر أبداً ، لأننا عاجزون عن الانتصار على أنفسنا . مخطئ من يظن أن هزيمة حزيران كانت هزيمة عسكرية فقط ، فحزيران كان هزيمة للجسد العربي أيضا ، هذا الجسد المحتقن ، المتوتر ، الشاحب الذي لا يعرف ماذا يفعل وإلى أين

يذهب ، الجسد العربي هُـزم لأن المحـارب لا يـستطيع أن يحارب إلا إذا كان في سـلام مـع جـسده . نحـن بحاجـة أن نتصالح مع أجسادنا .. أن نـلـتقي بها .. فنحن نعيش في قارة وأجسادنا تعيش في قارة أخرى . كـل ثـورة عربيـة يجـب أن تضع في حسابها إعادة الحوار الطبيعي بيننا وبـين أجسادنا ، وإعادة الحب إلى مكانـته الطبيعية كـفعالية إنـسانية مبدعـة وخلاّقـة ، لا كلــصٍّ خـارج عـن القـانون تلاحقـه شـرطة الآداب العامـة . مـا لم نفـتح أمـام الحـب الـضوء الأخـضر فسوف نظل مـرتبكين ومعقّـدين ومفلـوجين علـى الأرض كسيارة فرغت بطاريتها .. ما لم نفتح للحب نوافذنا فـسوف نـظل نباتات شوكية لا تورق ولا تزهر ، وتظل قلوبنا قارات من الملـح لا يخـرج منهـا أي غـصن أخـضر . مـا لم يـصبح الحب عاطفة سوية وطبيعية في بلادنا فسنظل كلـنا - رجالا ونساء – غير طبيعيين وغير سويـين وعـاجزين عـن القيـام بأي إنجـاز حـضاري عظـيم . يـصدر ((يوميـات امـرأة لا

مبالية)) في عصر الثورات ، لذلك فإنه يحمل عنف الثورة وجرأتها واستماتتها . تلاميذ العالم يضربون أسوار العالم القديم ، يقلعون أعمدته ، تلاميذ العالم يبصقون على كل الأوثان ويركلونها بأقدامهم . التلاميذ يريدون أن يغيروا العالم ، أن يخترعوه من جديد ، العالم القديم يترنح بجامعاته وأساتذته وكتبه وفلسفاته وأخلاقياته ومواعظه ، لم يعد أحد يخاف أحداً ، سقطت كل اللافتات تحت الأرجل ، ولم يبق سوى لافتة واحدة يحملها الإنسان المعاصر ، هي لافتة الحرية . ولأنني مع الحرية حتى النفس الأخير أصدرت ((اليوميات)) . ولأن أصابعي حرية ، وورقي حرية ، وحبري حرية أصدرت ((اليوميات)) . كان بإمكاني بالطبع أن أسجن ((اليوميات)) عشر سنوات أخرى في جواريري ، كان بإمكاني أن أحرقها لكنني لم أتعود حرق أفكاري ، ربما قال قائل : وهل هذا وقت الحديث عن الحب والجنس ونحن غارقون في المأساة حتى الركب ؟

ومـرة أخـرى أقـول إن هـذا وقـت كـل شـيء .. وقـت الانقضاض على كل شيء . لأنه الوقـت الـذي يحـاول فيـه الإنسان العربي أن يُغـيّر ويتغـيّر . والجنس هـو واحـد مـن همومنا الكبـيرة ، بل هو أكبر همومنـا علـى الإطـلاق ، ولـن يكون هناك تغـيّر حقيقـي إذا بقـي الـورم الجنـسي يـنهش حياتنا وجماجمنا ، نحن بحاجـة إلـى كـسر خرافـة الجـنس ، والنظر إليه نظرة حضارية وعلميـة فلـيس مـن المعقـول أن نكون على أعتاب القرن الحادي والعشرين ولا نـزال ننظـر إلى الجنس نظرة البدوي إلى فراش بكل ما فيها مـن ضـيق وجوع ، وننظر إلى جسد الأنثى كساحة حرب وميدان وثأر . نريد أن نـرد جـسد الأنثـى إليهـا ، فهـو حتـى الآن ملـك التاريخ والأعراف والمؤسسات الدينية والدنيوية تـتـصرف به على كيفها وتضع له قوانـين سلوكه قبل أن يولد .. نريـد أن نخلّـص جـسد الأنثـى مـن المزايـدات الأخلاقيـة والعنتريات ، فالرجل الشرقي

- وهذا أخطر ما في القضية - يـربط كـل أخلاقياتـه بجـسد المرأة لا بأخلاقياته هو ، فهو يكذب ويسرق ويزوّر ويقـتل ويسلخ على الطريق العام ويبقى أطهر من ماء الـسماء حتـى يـعثر في درج ابنته على مكتوب غرام فيشدها مـن ضـفائرها ويـذبحها كالدجاجـة ويـلقي قـصيدة شـعر أمـام قاضـي التحقيق . سيقول المتزمتون إني أحرض النساء على الحب، الواقع أنني لا أخاف التهمة ولا أرفضها ، بـل إنـني أبـاهي بها الخلق يوم القيامة ، فالتحريض على الحب هو تحـريض علـى الـسمو والنقـاء والبـراءة والطفولـة والعافيـة. إنـني أحرضكن على أجمل ما فيكنّ ، وأطهر ما فيكنّ ، وأنبـل مـا فـيكنّ . إنـني أحرضـكنّ علـى الارتـفاع إلـى مـستوى الإنسان، فنحن نبقى تحت مـستوى الإنـسان حتـى نحـب . وهذه الليلة ستكون ليلة التحريض على الحب .. يـعني ليلة الإنسانية.

هذه الأوراق

هذه الأوراق كتبتها امرأة لا اسم لها.. في مدينة لا اسم لها..

وليس يهم أبدًا أن يكون لصاحبة هذه اليوميات اسم، وأن يكون لها مدينة، فهي الأسماء جميعًا.. والمدن جميعًا.

ليس يهم في نظري – وفي نظر الفن – أن تكون هذه اليوميات موقعة. فالإنسان هو أفكاره، ودواته، ورحلة أصابعه على الورق.

هذه اليوميات وجدتها مخبوءة تحت حَجَر في حديقة منزل شرقي قديم.

كانت مكتوبة على أوراق دفتر مدرسي، وبخط عصبي نزق.. حتى لكأن الكلمات في تشنجها، أظافر حادة تمزق لحم الورق الأبيض وتنهشه..

ضممت على الأوراق يدي

كانت باردة، مبتلة، لاهثة كعصفور لا وطن له، طار ألف

قرن تحت الثلج والمطر..

وفي غرفتي، فتحت غطاء الكنز المسحور.. وأوقدت نارًا.. وبدأت أقرأ.

* * *

ركضتُ على الحروف المشتعلة، كأنني أركض على جسر من أعواد الكبريت.. كلما لمست عودًا، تفجر وفجَّر غيره..

وحين انتهى الليل، شممت في حجرتي، وفي ثيابي رائحة غريبة.. رائحة امرأة تحترق..

ليس جديدًا أن تحترق امرأة في هذا الشرق.. فنصف تراب صحارينا معجون برماد الضفائر الطويلة.. والنحور المطعونة..

ليس جديدًا – في منطق السكين والفأس – أن تذبح امرأة على سرير ولادتها.. أو سرير زفافها.. فنحن ندحرج رؤوس النساء، كما ندحرج أحجار النرد في مقاهينا.. وكما

نصطاد العصافير على روابينا..

قبل شهريار، وبعد شهريار، ونحن نغتال العصافير المؤنثة.. نسلخها، ونأكلها، ونمسح بدمائها شواربنا المهتزة كأذيال النسانيس..

لا جديد في تاريخ إرهابنا..

ولكن الجديد أن يثور المذبوح على ذابحه، والقبر على حافره..

الجديد أن يرفض الميت موته، وأن يعض الجرح على نصل الخنجر..

وهذا ما فعلته صاحبة هذه اليوميات.

إنها إحدى المصلوبات على جدار التاريخ والخرافة. ولكنها تبدو – وهي على خشبة الصلب – أكبر من قيدها ومن مساميرها.. وأقوى من جميع صالبيها..

إن بطلة هذه اليوميات، تعرف أنها تُحتَضَر ولكنها – مع دفتر يومياتها – تتفوق حتى على احتضارها.

الموت الصامت هو وحده الموت. أما الذين يثقبون بأظافرهم رخامات قبورهم، ويكتبون شعرًا على خشب توابيتهم.. فلا أحد يستطيع أن يهزمهم.... وبعد فهذه أوراق كتبتها امرأة لا اسم لها.. في مدينة لا اسم لها..

امرأة.. هي الأسماء جميعًا.. والمدن جميعًا..

وأنا لم أفعل لهذه اليوميات شيئًا،

سوى أني أخرجتها من مخبئها الحجري.. ومسحت الغبار عن أجنحتها.. ومنحتها الحرية.

نزار

رسالة إلى رجل ما

١

.. يا سيّدي العزيزْ
هذا خِطابُ امرأةٍ حمقاءْ..
هلْ كتبَتْ إليكَ قبلي امرأةٌ حمقاءْ ؟
اسمي أنا ؟
دَعْنا من رانيةٌ،
رانيةٌ ، أم زينبٌ ،
أم هندٌ ، أم هيفاءْ
أسخفُ ما نحملُهُ ، يا سيّدي ، الأسماءْ

٢

يا سيّدي!
أخافُ أن أقولَ ما لديَّ من أشياءْ
أخافُ ـ لو فعلتُ ـ أن تحترقَ السّماءْ

فشرقُكم يا سيّدي العزيزْ
يصادرُ الرسائلَ الزرقاءْ
يصادرُ الأحلامَ من خزائنِ النساءْ
يمارسُ الحَجْرَ على عواطفِ النساءْ
يستعملُ السّكينَ .. والسّاطورَ..
كي يخاطبَ النساءْ..
ويذبحُ الربيعَ ، والأشواقَ ، والضفائرَ السوداءْ
وشرقُكم يا سيّدي العزيزْ
يصنعُ تاجَ الشرفِ الرفيعِ .. من جماجمِ النساءْ..

٣

لا تنتَقِدْني سيّدي..
إنْ كانَ خَطّي سيّئاً..
فإنّني أكتبُ .. والسيّافُ خلفَ بابي
وخارجَ الحُجرةِ صوتُ الريحِ والكلابِ
يا سيّدي!

عنترةُ العبسيُّ خلفَ بابي
يذبحُني .. إذا رأى خِطابي
يقطعُ رأسي..
لو رأى الشفَّافَ من ثيابي..
يقطعُ رأسي .. لو أنا
عبَّرْتُ عن عذابي..
فشرقُكمْ يا سيّدي العزيزْ
يحاصرُ المرأةَ بالحرابِ..
وشرقُكم ، يا سيّدي العزيزْ
يبايعُ الرجالَ أنبياءَ
ويطمرُ النساءَ في التُّرابِ..

٤

لا تنزعجْ!
يا سيّدي العزيزَ .. من سُطوري
لا تنزعجْ!

إذا كسرتُ القُمْقُمَ المسدودَ من عصورِ
إذا نزعتُ خاتمَ الرصاصِ عن ضميري
إذا أنا هربتُ من أقبيةِ الحريمِ في القصورِ.
إذا تمرَّدْتُ على موتي . على قبري . على جذوري
والمسلخِ الكبيرِ..
لا تنزعجْ يا سيّدي
إذا أنا كشفتُ عن شعوري
فالرجلُ الشرقيُّ .. لا يهتمُّ بالشِّعرِ ولا الشُّعورِ
الرجلُ الشرقيُّ - واغفرْ جُرْأتي -
لا يفهمُ المرأةَ إلا داخلَ السريرِ..

٥

معذرةً يا سيّدي
إذا تطاولْتُ على مملكةِ الرجالِ
فالأدبُ الكبيرُ - طبعاً - أدبُ الرجالِ
والحبُّ كان دائماً .. من حِصَّةِ الرجالِ..

والجنسُ كانَ دائماً
مُخَدَّراً يُباعُ للرجالِ
خُرافَةٌ حُريّةُ النساءِ في بلادِنا
فليسَ من حُريّةٍ أخرى سِوى حُريّةُ الرجالِ..
يا سيّدي!
قُل كلَّ ما تريدُه عنّي .. فلنْ أُبالي
سطحيّةٌ .. غبيّةٌ .. مجنونةٌ.. بلهاءْ..
فلم أعُدْ أُبالي
لأنَّ مَن تكتبُ عن همومِها
في منطقِ الرجالِ ، تُدعى امرأةً حمقاءْ
ألمْ أقُلْ في أوَّلِ الخطاب..
إنّي امرأةٌ حمقاءْ..

اليوميات

١

على دفترْ
سأجمعُ كلَّ تاريخي
على دفتر
سأرضعُ كلَّ فاصلةٍ
حليبَ الكلمةِ الأشقرْ
سأكتبُ . لا يهمُّ لمنْ.
سأكتبُ هذه الأسطرْ
فحسبي أن أبوحَ هُنا
لوجهِ البَوْحِ ، لا أكثَرْ
حروفٌ لا مباليةٌ
أبعثرها..
على دفترْ..
بلا أملٍ بأن تبقى

بلا أملٍ بأن تُنشرْ
لعلَّ الريحَ تحملُها
فتزرع في تنقُّلها
هنا حرجاً من الزعترْ
هنا كرْماً
هنا بيدرْ
هنا شمساً
وصيفاً رائعاً أخضرْ
حروفٌ سوف أفرطُها
كقلبِ الخَوخة الأحمرْ
لكل سجينةٍ .. تحيا
معي في سجني الأكبرْ
حروفٌ
سوف أغرزُها
بلحمِ حياتِنا .. خنجرْ

لتكسرَ في تمردِهَا
جليداً
كان لا يُكْسَرْ..
لتخلعَ قفلَ تابوتٍ
أُعِدَّ لنا لكي نُقْبَرْ.
كتاباتٌ .. أقدمُها
لأيةِ مهجةٍ تشعُرْ
سيسعدني .. إذا بقيتْ
غداً .. مجهولةَ المصدرْ

٢

أنا أنثَى..
أنا أنثى
نهارَ أتيتُ للدنيا
وجدتُ قرارَ إعدامي..
ولم أرَ بابَ محكمتي

ولم أرَ وجْهَ حُكّامي

٣

عقاربْ هذه الساعهْ
كحوتٍ أسودِ الشفتين يبلعُني..
عقاربُها .. كثعبانٍ على الحائطْ
كسكينٍ تمزّقني..
كلصٍّ مسرعِ الخطواتِ
يتبعني .. ويتبعني..
لماذا لا أحطمُها ؟
وكلُّ دقيقةٍ فيها
تحطّمني..
أنا امرأةٌ .. بداخلِها
توقّفَ نابضُ الزمنِ
فلا نوّارَ أعرفُهُ
ولا نَيْسانَ يعرفني..

فَلا نوّارَ أعرفهُ
ولا نَيْسانَ يعرفني..
فلا نوّارَ أعرفهُ
ولا نَيْسانَ يعرفني..

٤

أنا بمحارتي السوداء..
ضوءُ الشمسِ يوجعني
وساعةُ بيتِنا البلهاءُ
تعلكني
وتبصُقني..
مجلاتي مبعثرةٌ..
وموسيقاي تُضجرني.
مع الموتَى .. أعيشُ أنا
مع الأطلالِ والدِّمَنِ
جميعُ أقاربي موتى

بلا قبرٍ ولا كفنِ..
أبوحُ لمنْ؟ ولا أحدٌ
من الأمواتِ يفهمني
أثورُ أنا على قَدري
على صدأي..
على عَفَني..
وبيتٍ كلُّ مَنْ فيه
يعاديني ويكرهني..
نوافذُه
ستائرُه
ترابُ الأرضِ يكرهني
أدقّ بقبضتي الأبوابَ ،
والأبوابُ ترفضني
بظفري .. أحفرُ الجدرانَ
أجلدُها وتجلدني..

أنا في منزلِ الموتى..
فمن من قبضةِ الموتى ؟.
يحررني ؟

٥

لمنْ صدري أنا يكبرْ ؟
لمنْ .. كَرَزَاتُهُ دارتْ ؟
لمنْ .. تفاحُهُ أزهَرْ ؟
لمنْ ؟
صحنانِ صينيّانِ .. من صَدَفٍ ومن جوهَرْ
لمنْ ؟
قَدَحان من ذهبٍ..
وليس هناك من يسكرْ ؟
لمنْ شفةٌ مناديةٌ
تجمَّدَ فوقَها السُكَّرْ
أللشيطانِ .. للديدانِ .. للجدرانِ لا تُقهرْ ؟

أربيها
وضوءَ الشمسِ أسقيها
سنابلَ شعريَ الأشقرْ ..

٦

خلوتُ اليوم ساعات
إلى جسدي
أفكرُ في قضاياه
أليس له هوالثاني قضاياه ؟
وجنتُه وحُمَّاه ؟
لقد أهملته زمنا
ولم أعبأ بشكواه
نظرتُ إليه في شغف
نظرت إليه من أحْلى زواياهُ
لمست قبابَه البيضاءَ
غابتَه ومرعاهُ

إن لوني حَليبي
كأنَّ الفجرَ قطَّره وصفَّاه
أسفتُ لأنه جسدي
أسفتُ على ملاسته
وثرتَ على مُصممه ، وعاجنه وناحِته
رثيتُ له
لهذا الوحشِ يأكلُ من وسادته
لهذا الطفلِ ليس تنامُ عيناه
نزعت غلالتي عني
رأيت الظلُ يخرج من مراياه
رأيت النهرَ كالعصفورِ ... لم يتعبْ جناحاه
تحررَ من قطيفتِه
ومزق عنه «تفتاهُ»
حزنت انا لمرآهُ
لماذا الله كوره ودوَّره .. وسواه ؟

لماذا الله أشقاني
بفتنتِه .. وأشقاه ؟
وعلقه بأعلى الصَّدر
جُرحاً .. لست أنساه

٧

لماذا يستبد أبي ؟
ويرهقني بسلطتِه .. وينظر لي كآنيةٍ
كسطرٍ في جريدته
ويحرصُ على أن أظلَّ له
كأني بعضُ ثروته
وأن أبقى بجانبِه
ككرسي بحجرتِه
أيكفي أنني ابنتُه
أني من سلالتِه
أيطعمني أبي خبزاً ؟

أيغمرني بنعمتِه ؟
كفرت أنا .. بمال أبي
بلؤلؤهِ ... بفضتِه
أبي لم ينتبهْ يوماً
إلى جسدي .. وثورتِه
أبي رجلٌ أنانيٌّ
مريضٌ في محبته
مريضٌ في تعنته
يثور إذا رأى صدري
تمادىَ في استدارتِه
يثور إذا رأَى رجلاً
يقربُ من حديقتِه
أبي ...
لن يمنعَ التفاحَ عن إكمالِ دورته
سيأتي ألفُ عصفورٍ

٨

على كراستي الزرقاءِ .. أستلقي بحريَّهْ
وأبسط فوقَها ساقي في فرح وعفويهْ
أمشط فوقها شعري
وأرمي كل أثوابي الحريريهْ
أنام ، أفيق ، عارية ..
أسير .. أسير حافية
على صفحات أوراقي السماويهْ
على كراستي الزرقاء
أسترخي على كيفي
وأهرب من أفاعي الجنس
والإرهابِ ..
والخوفِ ..
واصرخُ ملءَ حنجرتي

أنا امرأةٌ .. أنا امرأةٌ
أنا إنسانةٌ حيهْ
أيا مدن التوابيت الرخاميهْ
على كراستي الزرقاء
تسقطُ كلُّ أقنعتي الحضاريهْ
ولا يبقى سوى نهدي
تكوَّم فوقَ أغطيتي
كشمس استوائيهْ
ولا يبقى سوى جسدي
يعبرُ عن مشاعرِه
بلهجته البدائيهْ
ولا يبقى .. ولا يبقى ..
سوى الأنثى الحقيقيَّةُ

٩

أحب طيورَ تشرين ..

تُسافرُ.. حيثما شاءتْ
وتأخذُ في حقائبِها
بقايا الحقلِ من لوزٍ ومن تينِ
أنا أيضًا..
أحبُّ أكونُ مثلَ طيور تشرين ..
أحب أضيعُ مثلَ طيور تشرين ..
فحلوٌ أن يضيعَ المرءُ..
بينَ الحينِ والحينِ ...
أريدُ البحثَ عن وطنٍ ..
جديدٍ .. غير مسكون
وأبٍّ لا يطاردني .
وأرضٍ لا تعاديني
أريدُ أفرُّ من جلدي ..
ومن صوتي ..
ومن لغتي

وأشردُ مثلَ رائحةِ البساتين
أريد أفرُّ من ظلي
وأهربُ من عناويني ..
أريد أفرَّ من شرقِ الخرافةِ والثعابين ..
من الخلفاءِ ..
والأمراءِ ..
من كلِّ السلاطين ..
أريد الحبَّ مثلَ طيور تشرين ..
أيا شرقَ المشانِق والسكاكينِ ...

١٠

صباحَ اليوم فاجأني
دليلُ أنوثتي الأول
كتمتُ تمزقي
وأخذتُ أرقبُ روعةَ الجدول
واتبع موجَه الذهبي

اتبعه ولا أسألْ
هنا .. أحجارُ ياقوت
وكنز لآليءٍ مُهْمَلْ
هنا .. نافورةٌ جَذْلَى
هنا .. جسرٌ من المخمل
.. هنا
سفنٌ من التوليب
ترجو الأجملَ الأجملْ
هنا .. حبرٌ بغير يد
هنا .. جرحٌ ولا مقتل
أأخجلُ منه ..
هل بحرٌ بعزةِ موجِه يخجلْ ؟
انا للخصبِ مصدرُه وأنا يده
وأنا المغزلْ...

١١

أسائلُ دائما نفسي :
لماذا لا يكونُ الحبُّ في الدنيا؟
لكلِّ الناسِ .. كل الناس ..
مثلَ أشعةِ الفجر ...
لماذا لا يكونُ الحبُّ قي الدنيا؟
مثلَ الماءِ في النهر ..
ومثلَ الغيمِ والأمطار
و الأعشابِ والزهر ...
أليس الحبُّ للإنسان
عمراً داخلُ العُمرِ؟؟؟ ..
لماذا لا يكونُ الحبُّ في بلدي ؟
طبيعيّاً ...
كأيةِ زهرةٍ بيضاء ..
طالعةً من الصخر ...

طبيعيا ...
كلُقيا الثغرِ بالثغرِ ...
ومنسابا
كما شَعْري على ظهري ...
لماذا لا يحبُّ الناسَ... في لينٍ وفي يسر؟
كما الأسماكُ في البحرِ؟؟؟
كما الأقمارُ في أفلاكِها تجري ...
لماذا لا يكون الحبُّ في بلدي؟
ضروريًّا ..
كديوانٍ من الشِّعْرِ؟؟

١٢

أفكر : أينا أسعدْ ؟
أنا .. أم قطنا الأسودْ ؟
أنا ؟
أم ذلك الممدودُ .. سلطاناً على المِقعدْ ؟

سعيداً تحتَ فروتِه ..
كنهرٍ ، مطلَقٍ ، مفرد ..
أفكر : أينا حرٌّ
ومن منا طليقُ اليدِ
أنا أم ذلك الحيوانُ
يلحسُ فروَهُ الأجعَدْ ؟
أمامي كائنٌ حرٌّ ..
يكاد ، للطفِه ، يُعْبَدْ
لهذا القطِّ .. عالمُه
له طررٌ .. له مَسْنَدْ
له في السطحِ مملكةٌ
ورواياتٌ له تُعقد ..
له حريةٌ .. وأنا
أعيشُ بقمقمٍ مُوصَدْ..

١٣

أنا نهداي في صدري ،
كعصفوريْن ..
قد ماتا من الحرِّ ،
كقديسين شرقيين مُتهمين بالكفرِ..
كم اضْطُهدا ..
وكم جُلدا ،
وكم رَقدا على الجمرِ ..
وكم رفضا مصيرَهما ..
وكم ثارا على القهرِ ..
وكم قطعا لجامَهما ..
وكم هربا من القبرِ ..
متى سَيْفَكُ قَيدُهما ..
متى ؟
ياليتني أَدْري

١٤

نزلـتُ إلى حديقتنـا
.. أزورُ ربيعهـا الرّاجعْ
عجنتُ ترابها بيدي
.. حضنتُ حشيشها الطالعْ
رأيتُ شجيرةَ الدّراق
.. تلبسُ ثوبهـا الفاقـعْ
رأيتُ الطّيـرَ محتفـلاً
.. بعودة طيره الساجعْ
رأيتُ المقعـدَ الخشبيّ
.. مثـلَ الناسكِ الراكعْ
سـقطتُ عليه باكيةً
.. كأنّي مركبٌ ضائـعْ
أحتى الأرض يا ربّي
تعبّر عن مشاعرها

بشكل بارع بارع
أحتّى الأرض يا ربّي
لها يومٌ تحبُّ به
تضمُّ حبيبها الراجع
رفوف العشب من حولي
لها سبب لها دافع
فليس الزنبق الفارع
و ليس الحقل ليس النحل
ليس الجدول النابع
سوى تعبير هذي الأرض
غير حديثها البارع
أحسّ بداخلي بعثاً
يمزّق قشرتي عني
و يسقي جذري الجائع
و يدفعني لأن أعدو

مع الأطفال في الشارع
أريد أريد أن أعطي
كأيّ زهرة في الروض
تفتّح جفنها الدامع
كأية نحلةٍ في الحقل
تمنح شهدها النافع
أريد
أريد أن أحيا
بكل خلية مني
مفاتن هذه الدنيا
بمخمل ليلها الواسع
و برد شتائها اللاذع
أريد ..
أريد أن أحيا ..
بكل حرارة الواقع

.. بكل حماقة الواقع

١٥

أبــي صـنفٌ مــن البشــرِ
مزيجٌ من غباءِ التّرك
و من عصبيّة التّترِ
أبي أثر من الآثار
.. تابوتٌ من الحجرِ
تهرّأ كل ما فيهِ
..كبابِ كنيسـةٍ نخرِ
كهارون الرشيد أبي
جواريه ، مواليه ،
تمطّيه على تخت من الطّررِ
و نحن هنا ..
ضحاياه .. سـباياه

.. مماسح قصره القــذرِ

١٦

أغطُّ الحرفَ بالجرحِ
و أكتبُ فـوقَ جدرانٍ
من الكبريت و الملحِ
و أبصقُ فوقَ أوثانٍ
عواطفها من الملحِ
و أعينها و منطقها من الملحِ

١٧

لماذا في مدينتنـا
نعيش الحـبَّ تهريبـاً و تزويـرا
و نسرق من شقوقِ الباب موعدنا
و نستعطي الرسائل و المشاويرا
لماذا في مدينتنا ..؟
يصيدون العواطف و العصافيرا

لماذا نحن قصديرٌ
و ما يبقى من الإنسان
حين يصير قصديرا ؟ !
لماذا نحن أرضيّون
..تحتيّون
.. نخشى الشمس و النورا
لماذا أهل بلدتنا
يمـزّقهم تناقضهم
ففي ساعات يقظتهم
يسبّون الضفائر و التنانيرا
و حين الليل يطويهم
يضمّون التصاويرا

١٨

يعود أخي من الماخور
عند الفجرِ سكرانا

يعود كأنّه السلطان،
من سـمّاه سلطانا
و يبقى في عيون الأهل
أجملَنا و أغـلانا
و يبقى في ثياب العهر .
أطهرَنا و أنقانا
يعود أخي من الماخور
مثل الدّيك نشوانا
فسبحان الذي سوّاه من ضوءٍ
و من فحمٍ رخيصٍ نحن سوّانا
وسـبحان الذي يمحـو خطـاياه
ولا يمحـو خطـايانا

١٩

خرجتُ اليومَ للشّرفةِ
على الشّباك جارتنا المسيحيّة تحيّيني

فرحتُ لأنّ إنسانًا يحيّيني
لأنّ يداً صباحيّة .
. يداً كمياهِ تشرينِ
تلــوّحُ لي تنــاديني
أيْ ربّي متى نُشفى
تُرى من عقدةِ الدّينِ ؟
أليسَ الدّين كلّ الدّين
إنساناً يحيّيني
و يفتحُ لي ذراعيهِ
و يحملُ غصنَ زيتونِ

٢٠

تُخيفُ أبي مراهقتي
.. يدقُّ لها طبول الذّعرِ و الخطرِ
يقــاومُها
.. يقــاوم رغوةَ الخلجان

يلعنُ جرأةَ المطرِ
يقـاوم دونمـا جدْوَى
مـرور النّسـغ في الزّهـرِ
أبي يشـقى
إذا سـألتْ رياحُ الصّيفِ عن شـعري
و يشـقى إن رأى نهـدايَ
يرتفعـانِ في كِبـرِ
و يغتسـلان كالأطفـال
تحـتَ أشـعّة القمـرِ
فمـا ذنبي و ذنبهمـا
.. همـا منّي .. همـا قدري

٢١

سماء مدينتي تمطر
ونفسي مثلُها .. تمطر
وتاريخي معي. طفلٌ

نحيلُ الوجهِ، لا يُبصر
أنا حزني رمادي
كهذا الشارعِ المقفَرْ
أنا نوعٌ من الصُّبِّير ..
لا يعطي .. ولا يثمِر
حياتي مركبٌ ثملٌ
تحطمَ قبلَ أن يَبحَر ..
وأيامي مكررةٌ
كصوتِ الساعةِ المضجِر
وكيف أنوثتي ماتتْ
أنا ما عدتُ أستفكر
فلا صيفي أنا صيفٌ
ولا زهري أنا يُزهرْ
بمن أهتمُّ .. هل شيءٌ
بنفسي – بعدُ – ما دُمِّر

أبالعفنِ الذي حولي ..
أم القيمِ التي أُنكر
حياتي كلُّها عبثٌ
فلا خبرٌ .. أعيشَ له ..
ولا مُخبر
للا أحدٍ .. أعيش أنا ..
ولا .. لا شيءَ أستنظرْ ..

٢٢

متى يأتي تُرى بطلي
لقد خبأتُ في صدري
له ، زوجا من الحَجَلِ
وقد خبأتُ في ثغري
له ، كوزا من العسلِ
متى يأتي على فرس
له ، مجدولةُ الخصل

ليخطفني
ليكسرَ بابَ معتقلي
فمنذ طفولتي وأنا
أمدُّ على شبابيكي
حبالَ الشوقِ والأملِ
واجدلُ شعريَ الذهبي كي يصعدْ
على خصلاتِه .. بطلي

٢٣

سأكتبُ عن صديقاتي ..
أرى فيها.. أرى ذاتي
ومأساةً كمأساتي ..
سأكتبُ عن صديقاتي
عن السجنِ الذي يمتص أعمارَ السجينات ..
عن الزمنِ الذي أكلته أعمدةُ المجلات ..
عن الأبوابِ لا تفتح

عن الرغباتِ وهي بمهدها تُذْبَح
عن الحلماتِ تحتَ حريرِها تنبح
عن الزنزانةِ الكبرى
وعن جدرانِها السود ..
وعن آلافِ .. آلافِ الشهيدات
دُفن بغيرِ أسماء
بمقبرةِ التقاليد ..
صديقاتي ..
دمًى ملفوفةٌ بالقطن ،
نقودٌ .. صكها التاريخُ ، لا تُهْدَى ولا تُنفق
مجاميعٌ من الأسماكِ في أحواضِها تُخنق
وأوعية من البللورِ مات فراشُها الأزرق ...
بلا خوفٍ ..
سأكتبُ عن صديقاتي
عن الأغلالِ داميةٍ بأقدامِ الجميلات ..

عن الهذيانِ.. والغثيانِ .. عن ليلِ الضراعات
عن الأشواقِ تدفنُ في المخداتِ ..
عن الدورانِ في اللاشيء ..
عن موتِ الهنيهات ..
صديقاتي ..
رهائنُ تُشترى وتباعُ في سوق الخرافاتِ ..
سبايا في حريمِ الشرق ..
يعشن ، يمتنَ ، مثلَ الفطرِ في جوفِ الزجاجات
صديقاتي ..
طيورٌ في مغائرِها
تموتُ بغيرِ أصوات...

٢٤

بلادي ترفضُ الحُبَّ
تصادرهُ كأيِّ مخدرٍ خطرٍ
تطارده ..

تطاردَ ذلكَ الطفلَ الرقيقَ الحالمَ العذبا
تقصُّ له جناحيه ..
وتملأ قلبَه رعبا ...
بلادي تقتل العقْلَ الذي أهدى لها الخصبا
وحولَّ صخرَها ذهباً
وغطى أرضَها عُشبا ..
وأعطاها كواكبَها
وأجرى ماءَها العذْبَا
بلادي . لم يزُرها العقلُ
منذ اغتالت العقلا ..

٢٥

كفى يا شمسَ تموزٍ
فمنذُ البدء غير الكلس ، لم تشربْ أراضينا
ومنذ البدءِ نستعطي سماءً ليس تعطينا ..
كفانا نلعقُ الأحجار

والأسفلتَ ، والطينا
كفانا ، يا سماواتٍ
من القصديرِ تكوينا ..
جلودُ وجوهِنا يبست
تشقق لحمُ أيدينا ..
لماذا ؟ ترفضُ الأمطارُ أن تسقي روابينا
لماذا؟ تنشف الأنهارُ إن مرت بوادينا ..
لماذا تصبحُ الأزهارُ فحماً في أوانينا
لأنا قد قتلنا العِطرَ .. واغتلنا الرياحينا ..
وأغمدنا بصدرِ الحبِّ ، أغمدنا السكاكينا ..
لأن الأرضَ تشبهنا
مناخاتٍ وتكوينا ...
لأن العقمَ ، كلَّ العقم
لا في الأرضِ بل فينا ...

٢٦

يروّعني ..
شحوبُ شقيقتي الكبرى
هي الأخرَى
تعاني ما أعانيه
تعيشُ الساعةَ الصفرا ..
تعاني عقدةً سوادء
تعصر قلبَها عصرَا
قطارُ الحسنِ مر بها
ولم يترك سوىَ الذكرى
ولم يتركْ من النهدين
إلا الليفَ والقِشرا
لقد بدأتْ سفينتها
تغوصُ .. وتلمسُ القعرا ..
أراقبُها .. وقد جلست
بركنٍ ، تصلحُ الشعرا

تصففه .. وتخربه
وترسل زفرةً حَرَّى
تلوبُ .. تلوبُ .. في الردهات ..
مثلَ ذبابةٍ حَيْرَى ..
وتقبعُ في محارتِها
كنهرٍ . لم يجدْ مجرَى..

٢٧

فساتيني !
لماذا صرتُ أكرهُها ؟
لماذا لا أمزقُها ؟
أقلبُ طرفي
كأني لست أعرفُها
كأني .. لم أكنْ فيها
أحركُها وأملؤُها ...
لمن تتهدلُ الأثوابُ .. أحمرُها وأزرقُها

وواسعُها .. وضيقُها
وعاريها.. ومغلقُها
لمن قصبي ..!
لمن ذهبي ؟
لمن عطرٌ فرنسيٌّ
يقيم الأرضَ من حولي ويقعدُها
فساتيني ..
فراشاتٌ محنطةٌ
على الجدرانِ أصلبُها
وفي قبرٍ من الحرمانِ أدفنها ..
مساحيقي ، وأقلامي
أخافَ أخاف أقربها
وأمشاطي .. ومرآتي
أخاف أخافُ ألمسها ..
فما جدوى فراديسي ؟ .

ولا إنسانَ يدخلُها...

٢٨

مدينتُنا ..
تظلُّ أثيرةً عندي .
برغم جميعِ ما فيها ..
أحبُّ نداءَ باعتِها
أزقتها
أغانيها
مآذنَها .. كنائسَها
سكارَاها .. مُصليها ..
تسامحَها ، تعصبَها
عبادتَها لماضيها ..
مدينتُنا – بحمدِ الله–
راضيةٌ بما فيها ..
ومن فيها ..

بآلافٍ من الأمواتِ
تعلكُهم مقاهيها ..
لقد صاروا ، مع الأيامِ ،
جزءاً من كراسِيها ..
صراصيرٌ محنطةٌ
خيوطُ الشمسِ تعميها
مدينتنا ..
وراءَ النردِ ، منفقةٌ لياليها
وراءَ جريدةٍ كَسْلَى
وعابرة تُعريها ..
فلا الأحداثُ تنفضُها
ولا التاريخُ يعنيها ..
مدينتُنا .. بلا حُبٍّ
يرطبُ وجهَها الكلسيَّ .. أو يروي صحاريها
مدينتنا بلا امرأةٍ ..

تذيبُ صقيعَ عزلتها
وتمنحُها معانيها..

٢٩

أقمنا نصفَ دنيانا
على حكمٍ وأمثالِ
وشيدنا مزاراتٍ ..
لألفِ .. وألفِ دجال ..
وكالببغاءِ .. ردَّدنا
مواعظَ ألفِ محتال ..
قصدنا شيخَ حارتنا
ليرزقَنا بأطفال
فأدخلنا لحجرتهِ
وقام بنزعِ جبته
وباركنا
وضاجَعنا

وعندَ الباب ، طالبنا
بدفع ثلاثِ ليراتٍ
لصنعِ حجابَه البالي ..
وعدنا مثلما جئنا
بلا ولدٍ .. ولا مالِ

٣٠

يعيشُ بداخلي وحشٌ
جميلٌ اسمُه الرجل
له عينان دافئتان ..
يقطرُ منهما العسل
ألامسُ صدرَه العاري
ألامسَه . وأختجلُ ..
قروناً .. وهو مخبوءٌ
بصدري .. ليس يرتحلُ
ينام وراءَ أثوابي ..

ينام كأنه الأجلُ
أخافَ. أخاف أوقظَه
فيشعلني .. ويشتعلُ
كمخلوقٍ خرافيٍّ
يعيش بذهنِنا الرجلُ
تصورناه تنيناً ..
له تسعون إصبعةً
وشدقٌ أحمرٌ ثَمِلٌ ..
تصورناه خفاشاً ..
مع الظلماتِ ينتقل
تخيلناه ثعباناً
أمدُّ يدي لأقتله
أمد يدي.. ولا أَصِلُ
إلهٌ في معابدِنا
نُصليه ونبتهلُ

يغازلُنا ..
وحينَ يجوعُ يأكلُنا
ويملأ الكأسَ من دمنا ..
ويغتسلُ ..
وحش لا نقاومه
يعذبنا ونحتمل ..
ويجذبنا نعاجاً من ضفائرِنا
ونحتملُ
ويلهو في مشاعرِنا
ويلهو في مصائرِنا
ونحتملُ
ويُدمينا .. ويؤذينا
ويقتلنا .. ويحيينا
ويأمرُنا فنمتثلُ
وحش ما له عمرٌ

وحش. اسمه الرجل...

٣١

تلاحقنا الخرافةُ والأساطير
من القبرِ، الخرافةُ والأساطير
ويحكمنا هنا الأمواتُ .. والسيافُ مسرور
ملايينٌ من السنواتِ
لا شمسٌ ولا نورٌ
بأيدينا مساميرُ
وأرجلنا مساميرُ
وفوق رقابِنا سيفٌ
رهيفُ الحدِّ مسعور
وفوقَ فراشِنا عبدٌ
قبيحُ الوجهِ مجدور
من النهدين يصلبنا
وبالكرباجِ يجلدنا ..

ملايينٌ من السنواتِ .. والسيافُ مسرور
يفتشْ في خزائننا
يفتش في ملابِسنا ..
عن الأحلامِ نحملُها
عن الأسرارِ تكتمُها الجوارير
عن الأشواقِ تحملُها التحارير ..
ملايينٌ من السنواتِ .. والسيافُ مسرور
مقيمٌ في مدينتنا
أراه في ثيابِ أبي
أراه في ثيابِ أخي
أراه .. ها هنا .. وهنا
فكلُّ رجالِ بلدتنا ..
همُ السياف مسرور....

٣٢

ثقافتُنا

فقاقيعٌ من الصابونِ والوحل

فمازالت بداخلِنا
رواسبُ من «أبي جهل»
ومازلنا
نعيش بمنطقِ المفتاحِ والقفل
نلف نساءَنا بالقطن
ندفنهنَّ في الرملِ
ونملكهنَّ كالسجاد
كالأبقارِ في الحقل
ونهزأ من قوارير
بلا دينٍ ولا عقل
ونرجع آخرَ الليلِ
نمارس حقنا الزوجيَّ كالثيرانِ والخيلِ
نمارسُه خلال دقائقٍ خمسٍ

بلا شوقٍ ... ولا ذوقِ
ولا مَيْل
نمارسُه .. كآلات
تؤدي الفعلَ للفعل
ونرقدُ بعدَها موتى
ونتركهن وسطَ النار
وسطَ الطين والوحلِ
قتيلاتٍ بلا قتل
بنصفِ الدرب نتركهن
يا لفظاظة الخَيْلِ

٣٣

قضينا العمرَ في المخدعْ
وجيش حريمُنا معنا
وصك زواجِنا معنا
وقلنا : الله قد شَرَّعْ

لياليا موزعَّةً
على زوجاتِنا الأربعْ
هنا شفةٌ
هنا ساقٌ
هنا ظفرٌ
هنا إصبعْ
كأن الدِّينَ حانوت
فتحناه لكي نشبعْ
تمتعنا «بما ملكنا»
وعشنا من غرائزِنا بمستنقعْ
وزوَّرنا كلامَ الله
بالشكلِ الذي ينفع
ولم نخجلْ بما نصنعْ
عبثنا في قداستِه
نسينا نُبلَ غايته

ولم نذكرْ سوى المضجع
ولم نأخذْ
سوى زوجاتِنا الأربعْ

٣٤

أنا طروادةٌ أخرى أقاومَ كلَّ أسواري
وأرفضُ كلَّ ما حولي .. ومن حولي .. بإصرار ..
أقاوم واقعي المصنوعَ ..
من قشٍّ وفخَّارِ ..
أقاوم كلَّ أهلِ الكهفِ . والتنجيم ، والزار ..
تواكُلَهم ، تآكلَهم ، تناسلَهم كأبقارِ ..
أمامي ألفُ سيافٍ وسياف
وخلفي ألفُ جزارٍ وجزار..
فيا ربي !
أليس هناك من عارٍ سوى عاري ؟
ويا ربي !

أليس هناك من شُغل
لهذا الشرقِ .. غير حدود زُنَّاري ؟؟ .

٣٥

تظلُّ بكارةُ الأنثى
بهذا الشرقِ عقدتَنا وهاجسَنا
فعندَ جدارِها الموهومِ قدمنا ذبائحَنا ..
وأولمنا ولائمنا ..
نحرنا عند هيكلِها شقائقنا
قرابيناً .. وصِحْنا: «واكرامتنا».
صُداعُ الجنسِ ..مفترسٌ جماجمنا
صداعٌ مزمنٌ بشعٌ من الصحراء رافقنا
فأنسانا بصيرتَنا ، وأنسانا ضمائرنا
وأطلقنا ..
قطيعاً من كلابِ الصيد .. تستوحِي غرائزنا ..
أكلنا لحمَ من نهوى ومسَّحنا خناجرنا ..

وعند منصة القاضي صرخنا: «واكرامتنا»..
وبرمْنا كعنترة بن شداد شواربَنا..

٣٦

وداعًا .. أيها الدفترْ
وداعا يا صديق العمرِ ، يا مصباحيَ الأخضرْ
ويا صدرًا بكيتُ عليه ، أعوامًا ، ولم يضجرْ
ويا رَفْضي .. ويا سُخْطي ..
ويا رعدي .. ويا برقي ..
ويا ألمًا تحولَ في يدي خنجر ..
تركتُك في أمانِ الله
يا جُرحي الذي أزهر
فإن سرقوكَ من دُرجي
وفضُّوا ختمَك الأحمرْ
فلن يجدوا سوى امرأةٍ
مبعثرةٍ على دفترْ..